

الدور والنفس في الكسوع

أرب القوة :

سأل مندوب (السامرات) الدكتور عبد الوهاب عزام بك عما ينصح به الشباب في ميدان الأدب لمواجهة نهضة مصر الحديثة ، فأجابته :

« أدعو الشباب إلى أدب القوة ، والقوة النفسية التي تسود بالإنسان عن الدنيا وتدعو إلى الإقدام فيمضي في هذه الحياة مجاهداً يشق طريقه إلى غايته ، يذلل الصعاب ويقهر العقبات . وأدعوم إلى أدب النجدة والمواصاة والإيثار الذي يحذرهم إلى العمل للجماعة وتأدية الواجب ، والاعتباط بفعل الخير دون ابتغاء منفعة أو جاه أو سمعة .

وأحذرهم من الأدب الضمير الداعر الذي يدف بالنفس إلى الدنيا ، ويقمدها عن الجهاد ، ويخيفها من كل مشقة ويجنح بها بها إلى الدعة والمكوف على اللذة والإخلاق إلى البطالة والتسكع » وهذا الذي أجب به الدكتور عبد الوهاب عزام ، برنامج للأدب المنشود ، موجز في كلماته ، ولكنه واف في مرامييه ؛

مصر ، وتبدت الأحوال والأوضاع ، وخبا أمه في تلك الرتبة ، فأراد أن يعوض هذا على نفسه برتبة الأمانة في الشعر ، فكانت الصحف التي تنطق باسمه تملح عليه هذا اللقب دائماً ، ثم كانت حفلة المياومة المرفوقة ، وكان شوق شاعراً كبيراً حقاً فضمن لنفسه هذه الأمانة ، وضمن لنفسه الخلود وهو أكبر وأعظم من كل أمانة ...

إمارة الشعر بدعة انتهت بانتهاء ظروفها ... وليست هذه البدعة بالشىء المعروف في الأمم الأخرى ... ولم يكن هذا بالأمر المألوف بين شعراء العربية من قبل .. فلم يبايع أحد البحترى بأمانة الشعر ، ولم تقم له حفلة لذلك ، ولكنه كما يقولون أخجل بشعره سبعين شاعراً في عصره فلم يذ كرم ذاكر ..

« الجامع »

فهو يدعو إلى أدب القوة في هذا الوقت الذي اقتنع الجميع فيه بضرورة القوة للحصول على الحياة الحرة الكريمة ، وقد زارت آساد العرب وتحركت نحو هذه الحياة في الطريق إلى فلسطين ، ولا شك أن الخيول العربية الآن في جميع أقطار العروبة تملك اللجم ويتحفز فرسانها للوثوب ، وغايتهم القضاء على اللدخلاء في جميع البلاد العربية بادئين بالصهيونيين ...

وهنا آخذ سمعة الباحث في الأدب من حيث تفاعله مع الأحداث وروح العصر ، فأقول إن الأدب لا بد أن يستمد من هذه الروح ويدفع تلك الحركات ، لأن وجدان الأمة العربية يزخر بشاعري القوة والنجدة ، ووظيفة الأدب الأساسية أن يبعث عن الشعور ويستعمل الوجدان .

ثم آخذ سمعة الباحث في الاجتماع فأقول إن الأمة تتكون من الأفراد ، فلكي تكون قوية يلزم أن يكون أفرادها أقوياء ؛ وقوة النفس هي أصل القوى ، لأنها ، كما قال الدكتور عزام ، تسمو بالإنسان عن الدنيا وتدعو إلى الإقدام واقتحام العقبات ، وتدعو إلى النجدة والإيثار والعمل للجماعة . والأدب يتفاعل مع كل هذا ، فيتأثر به ويؤثر فيه ، وبذلك يكون أدباً صادقاً .

والشباب مناط الآمال وذوو الأحاسيس المتوثية والشاعر المنهبة ، فلا يصح أن تستنفد قوام المواطف الخائرة ، فلا تبقى بها أمانة للقدرة على الكفاح للجماعة أو حتى للذات ، فيدفع هذا الضعف إلى الدعة والكسل أو محاولة الوصول عن طرق هينة وإن كانت غير لائقة .

الفتيد القومي للعرب :

وبعد فهذه الجيوش العربية تزحف إلى فلسطين ، والآمال تسيرها ، والقلوب تحفق لها ، وإنك لتلمح بين سطور أنبائها في الصحف آياتاً من الشعر يهتز لها فؤادك ، وإن كانت لا تزال شاردة لم يقبدها وزن ولا قافية .

فمن لهذا الشعر ينظمه نشيداً للوطن العربي المأم ؟ نشيداً واحداً يتبنى به أولئك الأبطال الزاحفون في سيناء وفي صحراء العرب وبادية الشام وربي لبنان ، وينشده الناشئون في مهادم وملاعهم ، ليقوى « عضلات » نفوسهم ، وينق عنها « الترهل » فهيا فحول الشعر ، ضموا لنا ذلك الفتيد .

ذكرى شوقى فى نادى الخريجين :

أكتب هذا يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر أكتوبر ، وهو اليوم الذى نى فى مثله الشاعر الخالد أحمد شوق بك ، وكانت الليلة الماضية ليلة الذكرى ، لا فى (الأورج) فقد أعلن أن حفلته أجلت إلى أجل غير محسمى نظراً لظروف الصحبة الحاضرة . بل كانت الذكرى فى شقة بالمهارة رقم ٢٨ بشارع شريف باشا ، حيث نادى الخريجين المصرى .

وكان حفلاً صغيراً أقامه النادى فى خجل من عدم استطاعته التوسع فى البرنامج ، ولكن تفرد هذا الحفل بمصر فى ليلة ذكرى شوقى أمير شمراتها ، وشعور هؤلاء الشبان الذين أقاموه بتآلة مجهودهم فى هذا المقام الجليل ، كل هذا يجعل لهذا الحفل معنى جليلاً هو معنى الوفاء الذى لا يفض منه جهد العقل

بدأت الحفل بكلمة للأستاذ مصطفى حبيب تحدث فيها عن ذكرى شوقى من حيث آرها فى النفوس ، ومن حيث مكانة صاحبها الأدبية والوطنية ، وتيمن لافتتاح الموسم الثقافى فى النادى بهذه الذكرى . وتلاه الأستاذ محمد فتحى بك قرأ من شعر شوقى قصيدة « يا نأخ الطلح أشباه عوادينا » التى قالها وهو بالأندلس فى الحنين إلى مصر ، وقد ذكرتنى قراءة فتحى بك بما يقولون من أن أحد المال بمطبعة الأهرام غير مرة فى برنامج الإذاعة كلمة « يقرأها فتحى بك » فجعلها « يقرأها » ولم أكن أصديق هذا وكنت أرجح أن « يقرأها » فى أصل البرنامج ، ولكنى اقتنعت أمس بأنها فعلة ذلك العامل لأنى وجدت فتحى بك لا يقرأ وإنما يقرأ كما يقرأ الطالب فى كتاب المطامة بفارق واحد وهو أن فتحى بك قليل الخطأ فى ضبط الكلمات .. ولكن لم اختار « نأخ الطلح » وهو الطائر الذى يتوح فى وادى الطلح ؟ لأن الطيور على أشكالها تقع ؟

أعود من هذا الاستطراد إلى برنامج الحفل : غنى أحد الشبان أغنية « أنا أنطونيو » فأجاد وأطرب ، ثم عرض مشهد من مسرحية « كايوبارا » لشوق ، مثله ثلاثة من الخريجين : آمنة وشابان أحدهما السيد حسن ابن الرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، وقد أحسنوا أداء أدوارهم ، وبرعت الآنة وهى تمثل مناجاة كايوبارا نفسها فى المعبد بعد هزيمة جيوشها ، إذ كانت

تؤدى الشعر بنبرات تمثل معانيه أحسن تمثيل . وقد أتى أحد الشبان قصيدة تدل على أنه مبتدىء فى معالجة القريض ، ولكن كان لابد منها لتنويع هذا البرنامج الصغير فى مادته الكبير فى معناه . وكان هذا التنويع يقتضى كلمة دراسية فى شوق وشعره ، ولكن النادى الخريجي قسم اللغة الإنجليزية بكفاية الآداب . وما يرفونه عن شوقى قليل جداً بالنسبة لما يرفونه عن شكسبير مثلاً !!!

ولا تندب فى هذا المعجب ... فقد قلت إنه جهد الوفاء ذو المعنى الكبير وإن كان قليلاً . أكثر الله خيرهم على كل حال ...

سميع الزعماء :

قرأت فى مجلة « المصور » للكاتب الفكاهة الذى يطلق على نفسه (اللوحوس) ما بلى : « من أضحك الأشياء وأدعاها إلى السخرية فى هذا البلد ذلك الأسلوب (المسخرة) الذى تحرر به الأحزاب والزعماء والقادة بيانانهم الكبرى الخطيرة للشعب والأمة ... ذلك السجع المعقوت السكويه الثقيل الظل الذى يملأ أعمدة وصفحات كاملة بأسرها فى الجرائد ! » .

ومفهوم أن النثر المصرى من كتابة وخطابة قد تحرر من السجع أو من التزامه ، فقد يأتى بمض الكتاب بشىء ومنه لاقتضاء حال من تهكم أو دعابة وقد يجرى به القلم لاتساق لفظ وانسجام جرس . وكل هذا بعيد كل البعد عن ما كان فى العصور المتأخرة من التكاف المعقوت .

ولكن فى السنوات الأخيرة جنح بعض الزعماء السياسيين إلى السجع وطول النفس فيه فى خطبهم وكتاباتهم ؛ ويبدون أن ذلك يرجع إلى ما يريدون أن يظهروا به من القدرة البيانية وما يرمون إليه من التأثير فى نفوس الجماهير .. والحق أن كثيراً من هذا السجع محكم بمجود ، ولكنه على أى حال ترقيش وتزويق فى الكلام ، يسائر التهريج فى السياسة ، بل هو من أدوانه .. والعمل الصالح كالجمال الطيبى لا يحتاج إلى الأصباغ والأدهان ! أو كما قال (اللوحوس) إن هذا السجع (موضة) بطلت ، كما بطلت تلك الزعماء ، وصار روح العصر شيئاً آخر ..

قريباً إلى القمة مؤدية رسالتها على خير الوجوه « وقال الأستاذ المازني : « لقد نجحت نجاحاً كبيراً والدليل على ذلك كثرة الإقبال عليها وكثرة ما ينشر منها » وقال الأستاذ بيرم التونسي : « إن معظم القصص المصرية التي ظهرت حتى الآن في غاية الإلتقان مما يبشر بمستقبل حسن للقصة المصرية » وقال الدكتور زكي مبارك : « لقد نجحت القصة المصرية بكل تأكيد لأنها فتحت آفاقاً من الخيال ، وواضحة الجهور المصري على الذوق الفني ، وأعطت المصريين فرصة لرحلات الفنية إلى الشرق ، وخلقت أبواباً من الثروة الفكرية والعقلية عند فريق من الجماهير » وخالفهم المشاوي باشا فقال : « لا توجد عندنا قصة مصرية بالمعنى الفهم لتثقيف الشعب » وقال : « لقد لقيت الأمرين عندما كنت وزيراً للمعارف ، إذ احتجنا إلى قصص مصرية قوية لتمثيلها في المدارس أو توزيعها على التلاميذ فكنت أكثر من عمل السابقات لعلها تفرى الكتاب على الاهتمام بهذا النوع من التأليف . ولكن لم يكن يصلنا في كل مسابقة إلا القصص النافذة البعيدة كل البعد عن الواقع » .

وأقول إن ما نراه من القصص الضعيفة أو المنتوشة من القصص الغربية ، لا ينبغي أن تطفى النظرة إليه على النتائج القصصية القيم التي يدل على تقدم فن القصة عندنا في العصر الحديث تقدماً تلمسه فيما نشر من القصص في الصحف والمجلات والكتب الخاصة، ولقد قامت « الرواية » التي أدغمت في « الرسالة » بمجهود كبير في هذا السبيل ، والرجوع إلى مجموعاتها يفكك أو يذكر كبر ذلك المجهود ، وإنك لترى فيها إلى جانب المترجمات قصصاً مصرية تمد من ثروتنا في هذا الفن الحديث ، كيوسيات نائب في الأرياف التي كان يكتبها بالرواية تبعاً الأستاذ توفيق الحكيم والتي جمعها بعد ذلك في كتاب .

لما ما ذكره سعادة المشاوي باشا من أنه لم تقدم إلى مسابقة وزارة المعارف إلا القصص النافذة البعيدة كل البعد عن الواقع ، فرجه أن كتاب القصة الناشجين يتجنبون النزول إلى مثل هذا التسابق ، إما استكباراً ، أو لأنهم يتوسمون أن فهم الطليق لا يرضى الهيئات التعليمية التي تتوخى الوفاق والترمت فيما يقدم إلى الطلاب ، وبهم من يسبى الظن بالحكمين ، على أن وزارة المعارف أجهت أخيراً إلى الاختيار مما في السوق في مثل هذا بدلا من تلك المسابقات .

« العباس »

التعليم الجامعي والأدب :

كان موضوع المناقشة في « ندوة الهلال » هذا الشهر : « هل أخفق التعليم الجامعي ؟ » وانتهت المناقشة إلى « أن جامعتنا استطاعت أن تخرج فنيين ممتازين في مختلف ميادين الحياة . كما نجحت في تزويد المجتمع بمخرجات كان لمن أثر كبير في تطور النهضة النسائية ، ولكنها أخفقت في خلق الروح الجامعية في نفوس الطلبة ، وأهملت في تربية نزعة الاستقلال في التفكير وحب الكشف والابتكار في خريجيها . ولم تمن بالنواحي الرياضية وبحيب الطلبة في الدراسة الجامعية » .

وقد لمت المناقشة الناحية الأدبية لمسأ خفيفاً ، وذلك أن الأستاذ شفيق غربال بك لما سئل : هل أضافت الجامعة جديداً إلى الإنتاج العلمي والأدبي ؟ أجاب : « إن الجامعة لا زالت في المهدي النسبة لنيرها من الجامعات الأجنبية ، ولكنني أعتقد أن هناك تبيديداً وإضافات في النواحي الأدبية ، وأظن أن الكرداني بك يوافقني على هذا أيضاً في الناحية العلمية » فرد الكرداني بك « هل تعني أن الجامعة خرجت علماء لهم في ميادين الاكتشافات والاختراعات جولات ؟ » فقال شفيق بك : [لا . . . إنني أقصد أن الجامعة خرجت « فنيين » ممتازين في كل الميادين . ولكنني لم أتكلم عن « العلماء »] .

ولا أدري أيقصد شفيق بك بهذا التفسير الناحيتين العلمية والأدبية ، أم يخص به الناحية العلمية ؟ على أن الخلاصة التي انتهى إليها النقاش تعمم هذا الحكم كما رأيت .

والذي نراه أن الجامعة — بعد الطبقة التي خرجتها الجامعة القديمة والتي رأسها الدكتور طه حسين — لم تخرج مبتكرين في الأدب ، ولم ينتظم سلك أعلام الأدباء أحد خريجيها بعد ، وإن كان بين هؤلاء المرشحين أدباء يدخلون في « فنيين ممتازين » .

القصة المصرية :

وجهت مجلة « السامرات » إلى « ليف من أعلام الفكر والرأي » السؤال التالي : هل نجحت القصة المصرية في تثقيف الشعب ؟ فأجاب معظمهم بإجابات نجاحها ، قال الأستاذ المقاد : والقصة المصرية على وجه العموم قد نجحت نجاحاً ملبوساً وشقت طريقها إلى الجودة والكمال في كثير من الاتجاهات وإن كان هناك بعض الاتجاهات التي لم تقتحمها بعد ، وكلني أمل في أن تصل